محبة الطريق

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

لماذا أصلى ؟ و لماذا أصوم ؟ و لماذا أختلى ؟ و لماذا أقرأ ؟ ...
هل لكى أصبح رجل صلاة , أو رجل صوم أو خلوة أو معرفة ؟
هل أحب أن أكون عابدا ؟ هل العبادة شهوة مستقلة فى نفسى لها غرض خاص ؟
هل أريد أن تكبر نفسى , أو أن أكبر فى عينى نفسى , عن طريق النجاح و النبوغ فى هذا الطريق ! ؟
هل أنا مهتم بذاتى : ماذا أكون ؟ و كيف أكون ؟ و متى أكون ؟ و كيف أتطور الى أفضل ؟ ...
هل أنا أحب الله ذاته , أم أحب الطريق الذى يوصل اليه ؟
هل أنا مثلا أحب الصلاة , أم أحب الله الذى أصلى اليه ! ؟

إننى ألاحظ فى نفسى أحيانا أخطاء كثيرة :
عندما أكمل مزاميرى أفرح : لا لأنى تحدثت مع الله , و انما لأننى راهب ناجح فى القيام بقانونه و واجبه فى العبادة ! ! و عندما لا أستطيع أن أصلى مزاميرى جميعها , أحزن : لا لأننى فقدت متعة التحدث مع الله , و انما لأنى راهب فاشل ! ! و هكذا أيضا فى صومى , و فى سهرى , و فى قراءاتى ... !

المسألة اذن شخصية بحتة . هى أنانية واضحة . أريد فيها أن أكبر فى عينى نفسى على حساب صلتى بالله ... ؟

متى يأتى الوقت الذى لا أصلى فيه مزمورا واحدا , و مع ذلك أكون سعيدا لانى على الرغم من ذلك كنت ثابتا فى الله عن طريق آخر من العبادة .

هل أنا أصلى من أجل لذة و متعة الحديث معك , و حلاوة الوجود فى حضرتك , أم من أجل أن أكتسب فضيلة أصل بها الى الحياة الأخرى ؟ أم اننى أصلى لكى أتحدث معك حديثا أطلب فيه تلك الحياة ؟

هل الصلاة فى نظرى هدف فى ذاتها أم مجرد وسيلة ؟

ان كنت أثور على انسان عطل خلوتى و صلاتى , و من أجل الصلاة و الخلوة , أفقد سلامى الداخلى , و أفقد سلامى مع الناس , و بالتالى يتعكر قلبى و افقد سلامى مع الله أيضا , اذن فقد أصبحت الصلاة هدفا لا وسيلة , و فى سبيل هذا الهدف قد أنحرف و أخطئ ! !

ان العبادة هى مجرد طريق يوصل الى الله , و لكن الهدف هو الله ذاته . و المحبة طريق , و الخدمة طريق , و لكن واحدا هو الهدف , أعنى الله ... لماذا اذن نفقد الله من أجل المحافظة على الطريق الذى يوصل اليه ؟ ! و من أجل أن يكون هذا الطريق فى الوضع الذى نشتهيه ؟ !

فلنحب الطريق لا لأنه شهى فى ذاته ـ و حقا هو شهى ـ , و انما لأنه يقودنا الى الله . و لنسرع فى الطريق و نعبره بسرعة لنصل اليه .

و الكمال هو أن يكون طريقنا الى الله , هو الله . لأنه ذاته ... هو الطريق .